شروط طلب العلم

ولكن لا بد أن يعرف ذلك الشخص الذي يتعلم العلم أنه لا يحصل في وقت قصير، بل لا بد من الممارسة، ولا بد من الصبر على المشقة والصعوبات التي قد تلاقيه، والخسران والنفقات المالية ونحو ذلك، حتى لو اقتصر على جانب من العلم فيه كفايته وفائدته، فقد روي عن بعض الشعراء أنه قال: أخي لن تنال العلم إلا بستة سأنبيك عن تفصيلها ببيان ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة وصحبة أستاذ وطول زمان هذه الستة إذا اجتمعت في إنسان رجي أن يكون موفقا في تحصيل العلم النافع فأما أولها وهو الذكاء فإنه يخرج البليد الذي يكون غافلا أو مغفلا غير عاقل، ولا متعقل لما يقول، ولا حافظ، فإنه يتعب نفسه ولا يحصل على فائدة، بل كلما حصل على شيء ذهب من ذاكرته ونسيه، أو تغافل عنه. وأما الثاني وهو الحرص، فإنه يدل على أن طالب العلم عليه أن يحرص أشد الحرص، فهو الذي يبعث على مواصلة الطلب ليلا ونهارا وفي الأيام كلها، ولا يخص ذلك بوقت دون وقت. وكذلك الاجتهاد، الذي هو بذل الجهد من النفس والمال، والجهد هو غاية المستطاع، أي: يبذل جهده فيسافر مثلا للتعلم ويقطع المراحل، ويسهر الليالي وما أشبه ذلك مما يدل على أنه مجتهد، وصادق الرغبة. وأما البلغة التي هي الزاد الذي يقتاته فإن هذه من ضروريات الحياة؛ فالذي يتعلم وهو فقير وغريب ليس عنده مال يقتاته، أي: يأكل منه ويقوت به نفسه لا تهنأ حياته ولا يستمر في التعلم؛ فالطالب بحاجة إلى أن يكون له كسب أو دخل، بأن يكون له أبوان قد قاما بكفايته والنفقة عليه، أو له غلة أو دخل، أو له حرفة يحترف بها في وقت من أوقاته يكون كسبه منها يقوم بكفايته والنفقة عليه في وقت الطلب؛ حتى يواصل سيره، ويتعلم إلى أن يحصل على جانب من العلم فيه الكفاية. وأما صحبة المدرس أو المعلم فهو أيضا من الضروريات لتحصيل العلم النافع؛ فإن الذي يتعلم على نفسه، أو يتعلم عن من هو دونه مثلا، أو يطلب العلم من الكتب ولا يفقه ما تتضمنه، قد يقع في أخطاء، وقد يمل ويتكاسل، فلا يحصل على المطلوب. وأما طول الزمان فإن من رغب في تحصيل العلوم والفوائد لا يمل ولا يضجر ولو طال الزمان، ولو بقي في الطلب عشرات السنين، كما كان العلماء -رحمهم الله- يواصلون سيرهم ولو بلغوا ما بلغوا فإن الإنسان كلما حصل على علم ازدادت معرفته وازداد تذوقه حلاوة العلم، وتوسعت المعارف أمامه، ولا شك أن العلوم تتراكم وتتكاثر عليه. ولذلك يقول بعض العلماء: إن العلم كثير وإن العمر قصير، فينبغي للإنسان أن يبدأ بالأهم فالأهم. ولا شك أن الأهم هو ما يفيدك في حياتك وفي عباداتك وهو علم التشريع والديانة، وتقتصر من بقية العلوم على ما أنت بحاجة إليه فقط، فالتوسع في العلوم الأخرى قد يشغل الإنسان عما هو أهم منه، حتى قال بعض العلماء في علم النحو: النحو في الكلام كالملح في الطعام. بمعنى: أنه لا حاجة إلى الإكثار منه، فلا تتوغل فيه وتكثر فيه فيذهب وقتك ويذهب عمرك وحياتك دون أن تحصل على شيء مفيد غاية الفائدة، ولا تتركه فتقع في الأخطاء وفي اللحن وفي الأغلاط، بل اقتصر منه على ما يصلح حالتك. كما أن الملح في الطعام لا يزاد منه ولا يقلل منه؛ فإن زيد منه أفسد الطعام، وإن قلل منه فالطعام لا يستساغ أكله، بل يقتصر على قدر الحاجة. إذا كان هذا في علم النحو الذي مدحه بعضهم بقوله: وإذا طلبت من العلوم أهمها فأهمها منها مقيم الألسن فكيف ببقية العلوم التي فائدتها قليلة، أو قد تكون مضرتها محققة؟!